

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يُعْبَادُ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

الزمر: ١١ - ١٦

الهدف الأساسي من سورة الزمر

(039) سورة الزمر

اللقاء الرابع من تفسير سورة الزمر- شرح الآيات 11-18

2022-02-05

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مع اللقاء الرابع من لقاءات سورة الزمر، ومع الآية الحادية عشرة من السورة، وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11)

[سورة الزمر]



سورة الزمر هي سورة التوحيد

هذه الآية الكرام تصرح بالهدف الأساسي من سورة الزمر، قلنا: سورة الزمر هي سورة التوحيد، تجريد وعبودية لله تعالى وحده لا شريك له، كل آياتها تدور حول هذا المعنى، هذه الآيات الآن توضح المقصود من السورة بشكل واضح جلي، بشكل مباشر، الآيات الأخرى تعبر عن المعنى بطرق أخرى، لكن هنا بالطريقة المباشرة (قُلْ) يا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخفى عليكم ما في قوله: قل، وقد مر معنا قبل ذلك قل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۖ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ
(10)

[سورة الزمر]

(قُلْ) لا يخفى ما فيها من التنبيه، أي عندما يقول تعالى لنبية: (قُلْ) فهناك شيء مهم ينبغي أن تستمع إليه، فإله لا يأمر نبيه إلا بما فيه خيرنا وصلاحنا.

من أصلح دينه وأخلصه لله تعالى عُصِمَ من الزلل والخطأ:



تستدل على أهمية الأمر من الأمر

(قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) الأمر هو الله، والمأمور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا الأمر مهم جداً، أنت كيف تستدل على أهمية الأمر؟ من الأمر، ثم بعد ذلك من المأمور بالأمر، فإذا كان الأمر هو (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ) أي أمرت من قبل الله تعالى، بني الفعل للمجهول لوضوح ودلالة الأمر، ما قال: قل إني أمرني الله (أُمِرْتُ) لأن الأمر معلوم، أحياناً نخفي الفاعل لأنه مجهول، فنقول: سرق البيت، لأننا لا نعلم من سرق البيت، لكن أحياناً نخفي الفاعل لشدة العلم به، فنقول: خلق الإنسان، لأن الله هو الخالق وانتهى الأمر، (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ) فالأمر هو الله، والمأمور هنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمته من بعده، فكل أمرٍ للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم تقم قرينة على خصوصيته فهو لأمته من بعده، وفي الحديث الصحيح:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ اللَّهَ طَيِّبٌ، لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرُ

المؤمنين بما أمر به المرسلين }

[أخرجه مسلم والترمذي]

فنحن مأمورون بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل من باب أولى، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم المعصوم يُؤمر، فمن باب أولى أن نُؤمر نحن أتباعه صلى الله عليه وسلم.

(قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) الدين كله عبادة خالصة لوجه الله قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)

[سورة البينة]

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ) حصر وقصر، كل ما أمر به الناس أن يعبدوا الله مخلصين له الدين، فإن عبدوا الله غير مخلصين له الدين فما حققوا الهدف من خلقهم، وإن ادعوا أنهم يخلصون لله، ولكنهم لم يلتزموا العبادة له بالشكل المطلوب فما حققوا الهدف الذي خلقوا من أجله، فلا بد من أن تكون عبادة، ويكون إخلاص فيها لله تعالى، لا تنفع عبادة بغير إخلاص، وإدعاء إخلاص بغير عبادة، لا ينفع هذا ولا ذاك، فقال: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) الدين؛ من دان يدين للشيء إذا رجع إليه، يدين به؛ يرجع إليه، وكان من أكثر أدعية النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: **اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي**، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ }

لأن الإنسان عندما يصلح دينه ويخلصه لله تعالى، فيه: **((عِصْمَةُ أَمْرِي))** يعصمه من الوقوع في الزلل، والخطأ، والعبث، وغير ذلك، **(فَلَنْ إِنِّي أُبْرِئُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)**.

النبي الكريم أول خلق الله في الرتبة وأول المسلمين إسلاماً في الزمن والرتبة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12)

[سورة الزمر]

هو **(وَأُمِرْتُ)** أن أعبد، لماذا قال؟ **(وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ)** ما قال أن أكون؟ هناك يوجد محذوف، أي **(وَأُمِرْتُ)** بذلك الأمر **(لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)** هذه لام التعليل، لماذا أمرت بالعبادة المخلصة لله تعالى **(وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)**؟



كلمة أول تطلق على شيتين:

كلمة أول تطلق على شيتين: الشيء الأول أي الأول زمنياً، فتقول مثلاً: هذا الطبيب هو الطبيب الأول الذي تخرج في هذه البلدة، أنت تعلم أنه قبل أن يكون هذا الطبيب موجوداً لم يكن هناك طبيب متخرج من الجامعة، كان الناس يستشيرون الحلاقين مثلاً سابقاً، وهذا أول طبيب في دمشق، تقصد أول طبيب بالزمن، أول متخرج في جامعة دمشق فرضاً، طبيب بسوريا، هذا أول بالزمن، أول واحد، لكن هناك أولية أيضاً في الرتبة، تقول: هذا أول طبيب في المدينة، أي ما كان قبله أطباء؟ لا، كان، لكن هو أول واحد بالرتبة، أي أحسن طبيب، أكثر الأطباء خبرة، فأول تطلق يراد بها الأول زمنياً، وبعدها يأتي الثاني والثالث والرابع، ويراد بها الأول ترفيقاً، رتبةً.

النبي صلى الله عليه وسلم كان الأول زمنياً لأنه أول من أسلم من الناس، وتلقى هذه الرسالة، ثم نقول نحن: أول من أسلم به من النساء خديجة، آمن به، لكن هو الأول في استسلامه لله، والاستجابة لمنهج الله، وعبادته، وإخلاصه لربه، فهو كان الأول في دين الله عز وجل زمنياً بلا شك، وكان الأول رتبةً صلى الله عليه وسلم لأنه ما عرف الله أحدٌ كما عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا وصل إلى عبادة الله عز وجل أحد كما وصل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحن جميعاً ما عبدنا الله حق عبادته، وما شكرناه حق شكره، لكن نبينا صلى الله عليه وسلم هو الأول في العبادة.

{ عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: ربيبُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: أَيْقَبِلُ الصَّائِمَ؟ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: سلْ هذه - لأُمَّ سلمة - فَأَجِبْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أما والله **إِنِّي لَأَتَقَاكُم لَه، وَأَخْشَاكُم لَه** { أخرجه مسلم }

صلى الله عليه وسلم، هو الأعبء، هو المثل الأعلى، هو الأسوة، فهو الأول رتبةً صلى الله عليه وسلم بين الأنبياء، و بين جميع الخلق، فهو أول خلق الله في الرتبة، وأول المسلمين إسلاماً في الزمن والرتبة.

على الإنسان أن يكون الأول بعبادته والأول بكل شيء:

نستفيد من هذه الآية نحن **(وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)** أن تكون أنت الأول دائماً، الإسلام لا يريد منك أن تكون ذاك المسلم الذي يقول: إذا تمكنت ودخلت الجنة خلف الباب فأنا راض بذلك، لا، لماذا خلف الباب؟ إذا سألت الله تعالى فإسألوه الفردوس الأعلى من الجنة، لماذا لا تطمح أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ في الدنيا لماذا تريد أن تكون طبيياً بسيطاً؟ لماذا لا تأخذ اختصاصاً عالياً وتعالج الناس؟ لماذا تكون التاجر البسيط؟ لماذا لا تكون التاجر القوي الذي يدفع زكاة ماله للآخرين؟ في كل شيء لماذا لا تكون الأول؟ هذه كلمة أول تشير إلى أهمية التفوق سواء في الدنيا، أو في الدين، طبعاً الحديث هنا في الدين، لكن ينسحب على الدنيا لأن المسلم:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن**

الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل:

قدّر الله وما شاء فعل، فإن ' لو ' تفتح عمل الشيطان }

[أخرجه مسلم]



القوي قادر على أعمال صالحة لا يستطيعها الضعيف

الخبرة موجودة في الضعيف وفي القوي لكنها في القوي أعظم، لأن القوي قادر على أعمال صالحة لا يستطيعها الضعيف، إذا كان قوياً بالمال يدفع زكاته، فتكون يده هي العليا، وإذا كان قوياً بالخبرة يُعلي شأن دينه، إذا كان خبيراً بالتكنولوجيا، بالتجارة، أو بأي شيء، إذا كان قوياً بمنصبه يحق حقاً ويبطل باطلاً، فإذا استطعت أن تكون قوياً، وطرق القوة سالكة وفق منهج الله فعلى بركة الله، أما إذا كانت طرق القوة لا تكون إلا على حساب دينك فعندها الضعف وسام شرف لك، لأنك لا يمكن أن تتخلى عن دينك لتكون قوياً، لكن إذا سلكت الطريق وأنت تحافظ على دينك ووصلت إلى القوة فهذه نعمة كبيرة.

فلذلك الحديث: **(المؤمن القوي)** ليس القوي، أي إنسان يكون قوياً، نحن نريد المؤمن، ثم القوي، القوي بإيمانه، القوي بمنهج ربه وليست القوة المجردة عن الإيمان، لأن القوة المجردة عن الإيمان رأينا ماذا صنعت، صنعت قبائل عنقودية، وانشطارية، وبراميل متفجرة، القوة بلا إيمان صنعت الدمار، لم تصنع حضارة، لكن المؤمن القوي يصنع حضارة.

فالأول هنا أول في كل شيء، كن **(أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)** أولهم قريباً من الله، أولهم عبادة، أولهم عملاً صالحاً، أولهم تقرباً إلى الله، أولهم إحساناً لخلق الله، أولهم برّاً بوالديك، أولهم محبةً لعباد الله، كن أولاً **(وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)** أي وأمرت بتلك العبادة **(لأن أكون أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)** بعبادتي لله أكون الأول إن شاء الله.

أعظم رفعة للإنسان أن يكون عبداً لله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13)

[سورة الزمر]

والله هذه الآية مخيفة، لأن الله تعالى يخاطب نبيه المعصوم، يقول له: **(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)** هذا مقام العبودية، النبي صلى الله عليه وسلم بشر وعبء لله، ولما كان في أعظم حالته وهو في معجزة الإسراء والمعراج قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)

[سورة الإسراء]



العبودية لله مقام رفيع

وكان يخيل إلينا أن يقول: سبحان الذي أسرى برسوله، أو بنبيه، للدلالة على مكانته، لأنه لو لم يكن رسولاً ونبياً لما أسرى به، لأن هذه معجزة، والمعجزة للأنبياء، لكنه أراد أن يعلمنا أن الإنسان وهو في قمة رفعة أعظم رفعة له أن يكون عبداً لله، فقال: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) فالنبي صلى الله عليه وسلم ما انفك عن عبوديته لربه لحظة واحدة، يعيش العبودية، ولما خبر بين أن يكون عبداً نبياً، أو أن يكون نبياً ملكاً، اختار أن يكون عبداً صلى الله عليه وسلم، اختار مقام العبودية لله، ليست العبودية لله عز وجل حالة اضطرارية، أو إجبارية أنه ليس لنا إلا أن نعبد الله، مقام، مقام رفيع، أنا عبد لله، أتتحقق من عبوديتي له، أطيعه فيما أمر، وأنتهي عما نهى وزجر.
فقال: (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي) والنبي صلى الله عليه وسلم لا يعصي ربه، قد عُصِمَ، لكن رغم ذلك يعلمنا ويؤدنا به صلى الله عليه وسلم، المعصية هي مخالفة الأمر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَكَلَا مِنْهَا قَبَذَتْ أَلْهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا بَخْصِقَانٍ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121)

[سورة طه]

خالف الأمر، لا تأكل من هذه الشجرة فأكل، هذه المعصية، لا تطلق البصر، أطلق البصر، صلّ، لم يصلّ، خالف الأمر، فأتى ما نهى عنه، وترك ما أمر به، هذه المعصية، (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) وصف يوم القيامة بأنه يوم عظيم فإذا كان اليوم عظيماً فالعذاب به عظيم، ثم يؤكد المعنى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي (14)

[سورة الزمر]

الآية الأولى: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) الثانية: (قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي) طبعاً الأيتان فيهما حصر وقصر، لأن (أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) إذا العبادة لله وحده، الإخلاص هو التوجه لله وحده، الثانية فيها حصر وقصر حيث قدم لفظ الجلالة، هناك قال: (أَعْبُدُ اللَّهَ) هنا قال: (قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ) زيادة في التوكيد والحصر، والقصر، أي لا أعبد إلا الله (مُخْلِصاً لَهُ دِينِي) في الآية الأولى (مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) عموماً هنا (دِينِي)، يوجد دين، ويوجد ديني.

الدين منهج إلهي متكامل لا يحتاج إلى إصلاح ولا إلى تغيير:



الدين من عند الله لا يحتاج إلى إصلاح

الدين من عند الله عز وجل لا يحتاج إلى إصلاح، ولا إلى تغيير، ولا إلى تعديل، ولا إلى حذف، ولا إلى زيادة، بل إن أي إنسان يريد أن يحذف من الدين شيئاً فكأنه يتهم الخالق بالزيادة، وأي إنسان يريد أن يزيد على الدين شيئاً فكأنه يتهم رب الدين جلّ جلاله بأنه ترك شيئاً لم يعلمنا إياه، فهو يريد أن يزيده، فلذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِعَظْمِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُيْحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تُسَنَّفِسُوا بِالْأَرْلَامِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ نَبِّئِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَنَبِّئِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ دِينَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ شَيْئاً فَكَفَرُوا بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ كَذَّبُوا وَكَذَّبْتُمْ بِهِ سَبْعًا مَبْرُورِينَ وَمَا تَتَذَكَّرُونَ (3)

[سورة المائدة]

فالدين هو المنهج الإلهي المتكامل، ديني هو طريقة عودتي إلى الله وفهمي لهذا الدين، وهذه قد يكون فيها الصواب، وقد يكون فيها الخطأ، لذلك الدعاء:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: **اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي** الذي هو عِصْمَتُهُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ التي فيها معاشي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كلِّ خيرٍ، واجعل الموت راحة لي من كلِّ شرٍّ }

[أخرجه مسلم]

أي الذي يفهم الدين على أنه فقط صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، هذا عنده مشكلة في دينه، لأن الدين الذي أَرَادَهُ اللهُ لا يعني فقط العبادات الشعائرية، بل هو منظومة أخلاقية متكاملة بالإضافة إلى العبادات الشعائرية، الذي يفهم الدين أنه انتقاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفْتُونُونِ يَبَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جُزْئٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَوْمٌ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَسَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)

[سورة البقرة]



غض البصر صعب جداً

انتقاء، الحج جميل مرة بالعم، يرجع يقيمون له الزينات، ويستقبلونه، فالحج طريف، هذا نفعه، يصبح: الحاج فلان، أما الصلاة؛ خمس صلوات في اليوم، هذه صعبة، مثلاً أنا لا أقدر، أصلي الجمعة مثلاً، بالأعياد، هذه مشكلة، هذا يتنقى، الذي يفهم صلاة، وصياماً، و حجاً، أفعلهم، لكن غض البصر صعب جداً، هذا ليس لهذا الزمن أخي، زمننا لا يوجد فيه غض بصر، هذا دين انتقائي، هذا يحتاج إلى: (اللهم أصلح لي ديني) الذي يفهم الدين ليس له علاقة بالمعاملة مع الناس بسوء للناس، ويظلمهم، ويقول لك: إيماني، وأنا أؤدي صلاتي، و زكاتي، هؤلاء الناس لا يتعاملون غير ذلك، هذا لا يفهم الدين بشكل صحيح، المرأة التي تقول لك: أنا أمشي بلا حجاب بالطريق لكن أنا ديني في قلبي قوي، أنا أوزع إيماناً على بلد، لا علاقة لكم بهذه الخرفة التي على رأسي، هذه لا تفهم الدين، هذه تحتاج إلى: (اللهم أصلح لي ديني) دينها فيه مشكلة، ليس الدين وإنما دينها، أي طريقة تدينها، طريقة فهمها للدين فيها مشكلة، لأنها فهمت الإيمان ليس له علاقة بالشعائر، له علاقة فقط بالقلب، والذي يفهم أنه فقط بالشعائر وليس له علاقة بالقلب أيضاً يحتاج إلى: (اللهم أصلح لي ديني)، ففضية التدين هي فضية فهمنا للدين، وهذه دائماً ينبغي أن نراقبها، أن ندعو الله بصلاحها لأن كل واحد يقول لك: أنا أفهم التدين، المتشددون الذين يحدفون من الدين أحاديث، ويؤولون آيات، ويلوون عنق النصوص، هؤلاء عندهم مشكلة بالتدين، والمتطرفون من الطرف الآخر الذين يفهمون الدين سبياً وقتلاً، أيضاً ما فهموا الدين، لذلك نحتاج إلى أن نراقب تديننا دائماً ليكون موافقاً للدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

فهنا: (فَلِ اللَّهِ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي) أي ديني الذي أدين لله تعالى به، وأكرر من أجل متابعة الكلام.

الخسارة في الدنيا مهما عظمت لا تساوي شيئاً أمام خسران الآخرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15)

[سورة الزمر]

أولئك الآن المشركون، أنا مخلص لله، لكن (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) أتم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)

[سورة الكافرون]



القطيفة هي الثياب الأنيقة

(فَاعْبُدُوا مَا سِئَلْتُمْ مِنْ دُونِهِ) أي الحجر، والصنم، المال، عبد الدينار، عبد الدرهم، عبد القطيفة، عبد الخميصة، الخميصة؛ يعبد بطنه، أي من أجل أن يأكل ما لَدَّ وطاب، أي يعصى ربه من أجل بطنه، والقطيفة؛ الثياب الأنيقة، يريد دائماً أن يشتري الثياب من الماركات العالمية الشهيرة، فالمبلغ الذي يأتيه لا يكفي فيرتشي حتى يلبس أجمل الثياب، فهذا عبد القطيفة.

(فَاعْبُدُوا مَا سِئَلْتُمْ مِنْ دُونِهِ فُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) هنا يوجد تعريف، ما معنى التعريف؟ التعريف هو كلمات جامعة مانعة توازي المعرف، التعريف فن، له قواعد مهمة جداً، مثلاً التعريف لا يكون بغاية الشيء، مثلاً لو قلت لك: ما هو الهاتف؟ قلت لي: الهاتف هو الجهاز الذي تتكلم به مع الآخرين، ونصور به المحاضرات، هذا ليس تعريفاً، بالفلسفة، بالمنطق، هذا ليس تعريفاً لأنك عرفتَه بمهمته، هذه أهداف الهاتف إذا أردت أن تعرفه فيجب أن تعرفه بماهيته، هو جهاز مثلاً، لا ادري إذا كان صحيحاً، لكن مثلاً هو جهاز تستطيع من خلاله التواصل، فرضاً، أو هو جهاز له كفر، و له داخل، تعرف الشيء بماهيته، بحقيقته، وليس بأهدافه، أو بأسيابه، فأنت مثلاً عندما تقول: الخاسر، من هو الخاسر؟ الآن نحن لو عرضنا كلمة الخاسر، من هم الخاسرون على جمع من الناس، يقوم تاجر ويقول لي: الخاسر الذي احتفظ بأمواله بالليرة السورية من عشر سنوات، و الليرة السورية كانت بخمسين، صارت بثلاثة آلاف وستمئة، وأمواله كانت تعادل مئة ألف دولار، صارت تعادل ألفي دولار، هذا الخاسر، خسر، شخص ثان قد يقول لي: والله الخاسر الحقيقي هو الذي خسر منصبه، كان وزيراً، وتحت يده خمس سيارات، واحدة للبيت، وواحدة لابنه، وكذا، وأوامره مطاعة، فجأة خلعوه من منصبه، وهذه أعظم خسارة، هذا الخاسر، والخاسر هو الذي توفيت أمه، هذه أرقى قليلاً، أي بدأ يتكلم بالقيم، خسر أمه، خسر أخاه، خسر أصدقاءه، توفي ابنه، خسائر.



الخسارة في الدنيا تنتهي بالموت

الآن نحن نريد تعريف الخاسر من الله، الله يقول لك: **(فُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** الباقي لا يسمى خاسراً، إلا لغة، لغةً يسمى خاسراً لكن حجم الخسارة ليست شيئاً لأنها خسارة في الدنيا تنتهي بالموت، فليس لها قيمة، لو خسر كل ماله، المشكلة كم تطول حتى تنتهي، عمره أربعون سنة، أربعون سنة تأية تنتهي المشكلة، الخسارة في الدنيا مهما عظمت لا تساوي شيئاً أمام خسران الآخرة، فالآن ربنا يعرف لنا الخاسرين، قال: **(فُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** ليس في الدنيا، يوم القيامة، الطرف المكاني يوم القيامة، ما الذي حصل؟ **(خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ)** خُلِقَ للجنة فأوردتها النار، خسر نفسه، **(وَأَهْلِيَهُمْ)** لأن الله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقْوُدُهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)

[سورة التحريم]

فخسر نفسه، وخسر أهله يوم القيامة، هذا يقال عنه: خاسر.

قال: **(أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)** ألا: أداة استفتاح للتبيين، مهمتها التبيين أي اتبه يوجد شيء مهم سأفوله لك **(أَلَا ذَلِكَ)** اسم إشارة **(هُوَ)** ضمير فصل للتوكيد، كان يمكن أن يقول: ألا ذلك الخسران **(هُوَ)** تسميه فصلاً، هذا ضمير زائد ما مهمته؟ التوكيد **(هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)** هذا الخسران الواضح، الجلي، المبين، غيره ليس خسراناً مبيناً، غيره خسائر تمر، وتنتهي، وكأنها لم تكن، مهما خسر الإنسان في الدنيا، لكن الخسران المبين أن يأتي يوم القيامة فيكتشف أنه أورد نفسه النار، وأورد معه زوجه وأولاده النار، لأنه لم يأمرهم ولم ينههم ولم يحافظ على أسرته.

{ عن خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة رحمه الله قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو، إذ جاءه فَهْرَمَانٌ له فدخل، فقال: أعطيت الرقيق قُوْتَهُمْ؟ قال: لا، قال: قَاتِطِيقُ فَأَعْطِهِمْ، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: كفى بالمرءِ إثماً أن يَحْسِنَ عمن يملك قُوْتَهُ. أخرجه مسلم. وأخرج أبو داود المسند منه، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **كفى بالمرءِ إثمًا أن يُصَيِّعَ مَنْ يَقُوْتُ** { [أخرجه مسلم وأبو داود]

(أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ).

إنذار العصاة بالنار:

ثم قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَهُمْ مِنْ قُوْتِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (16)

[سورة الزمر]

ظلل: جمع ظلة، والظلة؛ هي ما يعلوك، مثل الغيم، الغيم ظلل، الشيء الذي يعلوك سيظلك، والناس تحب الظل، لأن الظل خاصة في أيام الصيف الحارة إذا وجدت ظل شجرة تجلس تحتها فتسر، فالظلل هي في الأصل شيء محبب.



الظلل المشتعلة أشد من حرارة الشمس

هنا من باب التهكم، الظلل من النار (لَهُمْ مِنْ قُوْتِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ) أنت تجلس تحت الظلل من أجل أن تقيك حرارة الشمس العالية، فكيف إذا وجدت ظللاً مشتعلة، هذا أشد من أن تواجه حرارة الشمس فوراً مثلاً (لَهُمْ مِنْ قُوْتِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ) الله أكبر!
قال: (وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) الذي تحت الإنسان لا يسمى ظللاً، ما يظله يسمى ظللاً، فلماذا قال؟ (وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) هذا من باب المشاكلة في اللغة، أي سَمِّي ما فوقه ظللاً فسمى ما تحته أيضاً (ظُلَلٌ) وهذا من باب المشاكلة، وقد ذكرناه مرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
السَّنْهُرُ الْحَرَامُ بِالسَّنْهِرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَاتُ فِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)

[سورة البقرة]

أنا لا أعندي على من اعتدى عليّ، أنا أرد اعتدائه، لكن من باب المشاكلة سماه عدواناً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16)

[سورة الطارق]

الله تعالى لا يكيد بالمعنى الحرفي للكيد، الكيد شأن الضعفاء، الله يجازي على الكيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِيَنَّكَ أَوْ يَفْلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30)

[سورة الأنفال]

هذا من باب المشاكلة، فالمشاكلة في اللغة أن تسمى الشئين باسم واحد، فهنا سمي الظلل، و قال أهل العلم معنى لطيفاً، قال: النار دركات، فما يكون تحت الإنسان هو ظلل لمن في الدركات التي تحته، أي أنا هنا فوقي سقف، وتحتي أرض، لكن الأرض التي تحتي هي سقف لمن تحتي بالطابق الأسفل فهي طلة له، وأرض لي، فهي ظلل (لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ) لأن النار دركات والعباد بالله، كما أن الجنة درجات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذِّكْرِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ تَصِيْرًا (145)

[سورة النساء]

كما جاء في الآية الكريمة.

من يدرك عظمة الله يخاف منه:



كل الناس عبيد لله (ذَلِكَ يَخَوْفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ) هذه الظلل يخوفنا الله تعالى بها، الله يندرنا يا عبيدي هناك نار لمن عصياني، هناك نار لمن أساء إلى عبادي، هناك نار لمن بنى مجده على أنقاض الناس، وبنى حياته على موتهم، وبنى عزه على ذلهم، وبنى غناه على فقرهم، لا تنظلم (ذَلِكَ يَخَوْفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ) هنا عباد جمع عبد، قلنا سابقاً: غالباً في القرآن الكريم عبد تجمع على عبيد، وهم عبيد القهر، وكل الناس عبيد لله، شاؤوا أم أبوا، وعلى عباد هم عباد الشكر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)

[سورة الفرقان]

هنا جمعها على عباد للإشارة إلى جميع عباد، أي الله تعالى يخوف بها عباده، عبادهم وغير مؤمنهم، وإن كان المؤمن أشد تخويفاً بالله من غيره، أي نحن الآن لو كنا في مجلس، هذا المجلس أنتم كلكم من عباد الله، عباد الشكر إن شاء الله، إذا ذكرت لكم عن النار تشعرون بالخوف، لو كان يجلس معنا شخص لا يوجد عنده إيمان أبداً، وسمع هذا الكلام لا يتأثر، تخوفه فلا يخاف، لأنه لا يدرك عظمة الله تعالى، الإنسان يخاف إذا أدرك، ولا يخاف إذا لم يدرك.

لو فرضنا أننا في بستان، وظهر حنش كبير لدغته قاتلة، جميعنا نهض خائفين، لو بيننا ولد صغير عمره سنة، ربما يقترب من الثعبان ويضع يده عليه أو في داخل فمه، هل هو شجاع أكثر منا؟ لا، لكن نحن ندرك ما معنى الثعبان، هو لا يدرك، فالذي يدرك يخاف، والذي لا يدرك لا يخاف.

فالذي تخوفه بالله فلا يخاف هو لا يعرف الله، ولا يعرف عظمة الله، لذلك **(يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ)** حتى المؤمن، بل هم أولى الناس تخويفاً بالعذاب، أنت عندما تسمع أن عند الله عذاباً تصير تعد للمليون قبل أن تظلم إنساناً، وعبرك من عبید القهر يسمع الآية ولا يتأثر، ولا تتحرك به شعرة، لأنه لا يدرك فلا يخاف.

التقاء عذاب الله بطاعته والابتعاد عن كل ما يُعبد من دون الله:



التقوى جزء من الخوف

(يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ) حذف الباء تخفيفاً، وهي وجه لغوي، تقول: يا عبادي، أو يا عباد بالكسر، وتشير إلى الباء المحذوفة، ونسبهم إلى ذاته تشريفاً لهم **(فَاتَّقُونِ)** التقوى جزء من الخوف، أو هي الخوف، أن تتقي عذابه بطاعته، وأن تتقي ناره بأسباب دخول جنته **(يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ)** هؤلاء على الطرف الأول، في الطرف المقابل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَمَنْ يَبْشُرْ عِبَادَ (17)

[سورة الزمر]

الطاغوت؛ على وزن فعلوت، مثل ملكوت، رحمت، والطاغوت أي مبالغة في الطغيان، والطغيان هو مجاوزة الحد، وفي القرآن الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

[سورة البقرة]

والطاغوت هو كل ما يعبد من دون الله، من الأقباء، من الأغنياء، إذا اجتنبت الطاغوت وهو كل ما يعبد من دون الله، وما قال: الذين لم يعبدوا الطاغوت، وإنما قال: **(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا)** والاجتناب أعلى مرتبة من الترك، من مجرد الابتعاد، اجتناب، أنت عندما تكون في تيار عال خطر الموت تحتبه، أي تترك بينك وبينه هامش أمان، وعندما يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)

[سورة المائدة]



إن للمعصية قوة جذب فاجتنبها

فيأتي أحدهم متوهماً أو مغرضاً، فيقول: لم يقل تعالى إن الخمر حرام، وإنما قال: (فاجتنبوه) أي من دونه أحسن، هذا فهم سقيم، لا علاقة له بلغة ولا بشرح (فاجتنبوه) أي ابتعدوا عنه، ما قال لك: لا تشرب، ابتعد، لأنك إذا جلست في مجلس يدار فيه الخمر ستجذب إليهم، فإن للمعصية قوة جذب فاجتنبها، فالاجتناب أشد من أن يقول لك: حرام، وهذا معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر:

{ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها،

وشارتها، وساقفها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وواهبها، وأكل ثمنها }

[أخرجه الترمذي]

أي كل من لا يجتنبها ملعون، واللعن لا يكون إلا على محرم.

فاجتنبوا الطلغوت؛ أي تركوا بينهم وبين ما يعبد من دون الله هامش أمان، فلا هم نافقوا لقوي، ولا هم تجاوزوا حدودهم في طاعة الله عز وجل، واجتنبوا الطاغوت (والذين اجتنبوا الطلغوت أن يعبدوها) أي اجتنبوا أن يعبدوا الطلغوت، اجتنبوا عبادة الطلغوت، وكما قلنا: الطلغوت هو كل ما يعبد من دون الله، اليوم السلطة طلغوت، لأنها تدفع الإنسان إلى تجاوز الحد، إلا من أخذها بحقها، المال طلغوت، المال الكثير إذا لم يكن هناك تربية إيمانية فهو طلغوت، يطغي الإنسان في الأرض، المرأة بالحرام طلغوت، الإعلام طلغوت، الناس اليوم يعبدون الشهرة، ويعبدون الإعلام، كل ما يعبد من دون الله فهو طلغوت.

الجنة مآل من رجع إلى الله في كل أمور حياته:

(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) أنابوا؛ أي رجعوا، عندنا توبة، وإنباء، وأوبة، قالوا: التوبة أول مرحلة، والإنباء ثاني مرحلة، والأوبة الثالثة، هذه الكلمات الثلاثة فيها معنى الرجوع، تاب؛ رجع، أناب إلى ربه؛ رجع إليه، أب إليه؛ رجع إليه، كلها فيها معنى الرجوع، لكن هي مراتب، فقالوا: التوبة تكون لعموم المؤمنين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)

[سورة النور]

و الإنباء تكون للصالحين، أي مرتبة أعلى، والأوبة للأنبياء والمرسلين، أبواب كثير الرجوع إلى الله، هذه بعض المعاني للتفريق بين التوبة، والإنباء، والأوبة، لكن كلها بمعنى الرجوع إلى الله (وأنابوا إلى الله) رجعوا إليه في كل شؤون حياتهم، رجعوا إليه في كل أمورهم، (لهم البشرى) يبشرهم الله تعالى بالجنة، وبالرضوان منه جل جلاله (فتبشروا عباده).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18)

[سورة الزمر]



الاستماع فيه قصد من الإنسان

(يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ) يوجد سماع، وهناك استماع، السماع؛ كأن تمر أمام إنسان يضع أغنية، والسماع لا يحاسب عليه الإنسان، تتركب في حافلة نقل عام، والسائق وضع أغنية ماجنة، سمعتها لكن لم تستمع إليها، السماع عابر بأنيك من غير قصد منك، الاستماع أنت فتحت الجوال ووضعت الأغنية ووضعت السماعات، وقعدت تستمع، جلست لتستمع إليها، فالاستماع فيه قصد من الإنسان.

(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) القول فيه حسن، وفيه أحسن، وربنا عز وجل قال في آية أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55)

[سورة الزمر]

هل هناك فيما أنزل من ربنا حسن وأحسن؟ بعض أهل العلم قالوا: هذه أحسن هنا ليس للتفضيل، أي اتبعوا الشيء الذي هو أحسن شيء، أي هو كذلك، هو أحسن، والبعض لهم توجيه لطيف (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) ربنا عز وجل يقول لك: إذا ظلمت تستطيع أن تأخذ مظلمتك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)

[سورة الشورى]

إذا أعطاك خيارين فأنت عندما تأخذ العفو فقد اتبعت أحسن من أنزل إليك من ربك، اتبعت أحسن الخيارين، الأول حسن، لكن الثاني أحسن، عندما يقول لك مثلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَبَا مَأْمُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا
فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)

[سورة البقرة]

وأنت مريض لكن مرضك بسيط جداً، أي لا يقعدك عن الصيام، فأخذت بالأحسن وصمت، أو مسافر، وجالس بالفندق، ولا يوجد عندك أي مشكلة بترك الصيام، لا تشعر بأي مشقة، فهذا الصيام أولى بحقك، ولو أفطرت لا شيء عليك، لكن أخذت أحسن ما أنزل إليك من ربك، أحسن.

هداية التوفيق:



ربنا عز وجل هدى الجميع

هنا (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ) هداية التوفيق، لأن ربنا عز وجل هدى الجميع، بمجرد ما بعث إليهم الرسل، وأسمعهم الحق فقد هداهم، ما هي الهداية؟ أن تسألني: أين الطريق؟ فأقول لك: من هنا، هديتك أم لم أهدك؟ هديتك إلى الطريق، لكن أنت سلكت أم لم تسلك هذا أمر آخر، هداية أخرى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ) هداية التوفيق لما استجابوا لهداية الدلالة، أي هؤلاء الذين اختصهم الله من خلقه أنهم يسمعون فيتبعون، وهناك أشخاص هداهم الله ابتداءً لكن سمعوا ولم يتبعوا فاصلهم الله، فالأصل أنت هل استجبت للهداية أم لم تستجب؟

(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) أي أصحاب الفكر الراجح، والفكر النير، واللب الذي فيه فهم، وإدراك لحقائق الحياة، وإلا كل الناس يقولون: نحن أولو الأب عندنا لب، لكن ليس المقصود من أولي الأباب بمعنى أن كل إنسان ذو لب، وإنما أولو الأباب من يسير وفق منهج الله تعالى، من قاده فكره إلى الحق ولم يقده إلى الباطل، هؤلاء أولو الأباب، كأن تقول مثلاً: فلان عنده سكري، والله أنا عندي سكري أيضاً، لا، هو عنده سكري زيادة، للسكري عندك 90، والسكري عنده 230، فأنت لا يوجد عندك سكري، هو عنده سكري، فإذا قلت: كلنا عندنا سكري، صحيح، لكن هذه النسب تختلف، فعندما يقول تعالى: (وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) ليس المعنى أن كل إنسان عنده لب، وأنا عندي لب، لا، الذي قاده ليه، عقله - إن صح التعبير - فكره إلى الحق فهذا (أولو الأباب) والثاني ليس من أولي الأباب، لأن ليه قاده إلى المعصية والحرام، فهذا ليس من أولي الأباب.

والحمد لله رب العالمين